

أهمية البراديغم في مجال الإعلام والاتصال لا شك أن كتاب "بنية الثورات العلمية" الذي أصدره توماس سامويل كون سنة 1962 أحدث ثورة في مختلف العلوم والمجالات، خصوصاً في العلوم الإنسانية والاجتماعية. يقدم كون نظرة مختلفة لتاريخ تطور العلوم، ويعيد التفكير في كيفية تراكم المعرفة العلمية. يستخدم في شرح أفكاره مصطلح "البراديغم" أو "النموذج الإرشادي"، وهو مفتاح لفهم أفكار كون وأهمية البراديغم في أي مجال بحثي، خصوصاً في مجال علوم الإعلام والاتصال. البراديغم أو النموذج العلمي هو مجموعة من الإنجازات العلمية التي تُقبل في زمن معين، وتشكل أساساً قوياً لطرح المشكلات العلمية ولطرائق حلها. يشترك الباحثون في مجموعة من القيم تحدّد وفقاً لهذا النموذج، مثل المناهج والمعايير. يُعد البراديغم تقليداً علمياً خاصاً ومنسجماً، حيث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظريات والتجارب. يُعرف البراديغم بأنه "المثال" أو "النمط"، وهو عبارة عن أسلوب أو طريقة، طراز، نوع، صنف. ويُشير كون إلى أن الاكتشافات والنظريات لا تصبح براديغماً إلا عندما تدمج التجربة النظرية بشكل متناغم. يؤدي اتباع البراديغم المشترك إلى التزام الباحثين بقواعد ومعايير الممارسة العلمية نفسها. ويشكل هذا الالتزام اتفاقاً ظاهرياً، وهما الشرطان الأساسيان لظهور "العلم العادي" - البحث الذي يُنشأ على أساس واحد أو أكثر من الإنجازات العلمية السابقة. يرى كون أن التطور العلمي لا يتم بالضرورة عند اكتشاف معطيات جديدة كما يرى اتجاه "الضرورة العقلانية". بل ينطلق من تصور يُظهر العلم كفاعلية لأفراد ضمن "مؤسسة علمية" تخضع للالتزامات مذهبية وقوانين مؤسسية تحدد أدوات التجريب، إجراءات القياس، وآليات المراقبة... إلخ. يقدم كون "أربعة خصائص للبراديغم: - يتضمن قوانين وتعريفات وتعميمات رمزية (Modelization)، وكلما زاد عددها، ازدادت قوة العلم. - يتضمن نماذج ميتافيزيقية واعتقادات (Beliefs) (معينة، تمكن المجموعة العلمية من استهلاك الرموز والاستعارات لشرح النظرية العلمية. - يتضمن قيم (Values)، مثل تماسك النظرية العلمية، واتساقها الداخلي، وانسجامها مع الواقع. تشمل القيم أيضاً المواقف المشتركة للعلماء تجاه أزمت العلم والنظريات المحددة. - يتضمن نماذج (Exemples) (في شكل معارف ضمنية، تُكتسب من خلال ممارسة العلم. في النهاية، نصل إلى نفس النتيجة التي توصل إليها "ألان شالمرز" عند عرضه للخطوط الكبرى لإبستمولوجيا كون، حيث لاحظ أن مفهوم البراديغم يتفكك أثناء محاولة تعريفه: "إننا لن نفهمه إلا من خلال وظيفته كموجه يوجه الباحثين، وهم يشتغلون في إطار "العلم السائد". وربما هذا التعريف الوظيفي هو ما يؤكد لنا تحليل كون "القائل بأن النشاط العلمي لا يمكن أن يتطور إلا داخل براديغم معتمد من طرف أعضاء مجموعة علمية، وهم يشتغلون في إطار من المجابهة العلمية العاقلة. ## السياق التاريخي لظهور فكرة البراديغم تتعرض هذه المقالة لفهم ظهور فكرة "البراديغم" في تاريخ البحث العلمي، وتناقش المدارس الإبستمولوجية التي سبقت ظهور هذا المفهوم، وأهميته في النظرة العلمية. تقدم المدارس الإبستمولوجية الأساسية مثل المدرسة التجريبية (روادها دافيد هيوم)، والمدرسة الوضعية (روادها أوغست كونت)، والمدرسة التطورية (روادها تشارلز داروين) رؤى مختلفة حول ملاحظة الواقع وتحليله وتفسيره. تُقدم المقالة المدرسة الثورية كمنظور حديث للإبستمولوجيا، والذي ينقد تاريخ العلوم بدلاً من التحقق من صلاحية علم معين. وتبرز أهمية هذا المفهوم في فهم تطور المعرفة العلمية عبر القرون. تُعدّ فكرة البراديغم "النموذج - الموجه" من الأفكار الأساسية في فلسفة كون، وتُستخدم لتفسير مراحل تطور العلم. يتحدث النص عن مراحل تطور العلم عند كون، وأن العلوم تمرّ بأزمات تؤدي إلى "ثورات علمية" تُكرس مجموعة جديدة من النظريات. يُعرّف النص البراديغم كنظرة مشتركة للعالم، ويقدم أمثلة على ذلك مثل الفيزياء الأرسطية التي أصبحت نموذجاً موجهاً للبحث الفيزيائي في العصور الوسطى. يُوضح النص كيف يتمّ بناء البراديغم، وكيف تواجهه الصعوبات التي تُحاول الجماعات العلمية حلها. تُعرف ثورة البراديغم بالانتقال من نموذج إلى آخر، وتُمثّل أعمال كوبرنيكس، نيوتن، وأينشتاين أمثلة على الثورات العلمية. تُسلط المقالة الضوء على حقيقة أنه لا يتمّ بناء براديغم جديد من قبل عالم واحد فقط، ولا بين يوم وليلة، وأن التطور العلمي لا يحدث بالضرورة عن طريق "التراكم" كما يعتقد بعض المؤرخين. ## أهمية البراديغم في البحث العلمي يرى كون أن البراديغما تكتسب أهميتها من نجاحها في حل مشكلات محددة، وتركيزها على مجال خاص من المشكلات يسمح للعلماء بدراسة جوانب معينة من الطبيعة بعمق غير مسبوق. خلال فترة نجاح البراديغم، يصبح العلم قادراً على حل مشكلات صعبة لم تكن لتُحل بدون الالتزام بالبراديغم. يقدم البراديغم الأسئلة والحلول في آن واحد، مما يجعل العلماء يعملون تحت مظلة تفرض توافقاً معيناً بين النظرية والتجربة. هذا التوافق مُحدد مسبقاً بفضل الجهاز المفهومي الذي يضمّ المسلمات والإجراءات التي يكتشفها العلماء أثناء ممارستهم للنشاط العلمي. يُحدد البراديغم العالم الذي يجب على العلماء استكشافه، ويضع شروطاً محددة لتأويل هذا العالم. هذه الشروط هي حدود البراديغم الذي يفترض التأويل، بالرغم من وجود اختلافات بين العلماء في تطبيق القيم المشتركة. ينشئ البراديغم قياساً جديداً في العلم بإضافة عناصر مثل القوانين،

النظريات، والأدوات التجريبية. تُصبح هذه العناصر نموذجًا لبناء تقاليد بحث علمية محددة. يرى ميلفين ديفلر وساندرا بول روكيش أن الافتراضات التي تشكل البراديغم هي مسلمات تتخذ كنقطة انطلاق لاستخلاص تفسيرات نظرية لجوانب معينة من الظاهرة الاجتماعية والنفسية. يعتبر رولان أومنيس البراديغم إنجازًا علميًا مميزًا أصبح نموذجًا يحتذى به من جانب باحثين آخرين. ## عينة من البراديغمات المستخدمة في علوم الإعلام والاتصال * **البراديغم السلوكي: ** يركز على تأثير المثيرات البيئية على السلوك، ويعتمد على مبدأ التعلم من خلال التجربة. * **البراديغم السيبرنيطيقي: ** يعتمد على مفهوم التحكم والضبط باستخدام المعلومات. * **البراديغم الوظيفي: ** يركز على وظائف وسائل الإعلام في المجتمع، مثل إعادة إنتاج القيم المجتمعية. * **البراديغم النقدي: ** ينقد سلطة وسائل الإعلام في الحفاظ على الوضع القائم وإعادة إنتاج الثقافة الجماهيرية. * **البراديغم التفسيري: ** يركز على فهم معاني الأفعال من خلال الخبرة الواعية